زيد فيها حتى تعلو اقلبه فذلك الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون رواه الترمذي وغيره وهو في الصحيح والذي يغشى القلب يسمى رينا
وطبعا وختما وقفلا ونحو ذلك فهذا اراد به ما اصر عليه من الذنوب فلم
يتب منها وهو معنى قول اولئك مات عليها وكذلك قول ابن السائب اوبقته
ذنوبه اي اهلكته وانما تهلكه اذا اصر عليها ولم يتب واحاطة الخطيئة هو
احداقها به بحيث لا يمكنه الخروج منها وهذا يكون لمن اصر عليها حتى مات — فائدة
وهذا هو تبسل بما كسبت نفسه كما قال تعالى وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت — ع البسل
ان تحبس عما فيه نجاتها في الدنيا والاخرة فان المعاصي قيد لصاحبها وحبس له
ومانع له عن الجولان في فضاء التوحيد وحائل بينه وبين ان يجتني من ثمار الصالحة — الاعمال
فهو محبوس ههنا وهناك في الاخرة قال ابو الفارس اما ان يكون المعنى احاطت
بحسنته خطيئته بحيث ان المحيط اكثر من المحاط به فيكون كقوله وان جهنم لمحيطة
بالكافرين وقوله احاط بهم سرادقها او يكون المعنى احاطت به اهلكته كقوله الا ان
يحاط بكم **قلت** كلا المعنيين قد ذكرهما السلف فالاول قول مجاهد والثاني
قول ابن السائب وهما متلازمان ولفظ احاطة يدل على انه مقهور مغلوب
مع المحيط به لكن هلاكه يعرف من خصوص المادة فلما كان الذي تحيط به الذنوب
فتغلب عليه الى ان يموت هالكا قيل المعنى اوبقته ذنوبه وقوله الا ان يحاط بكم
قيل الا ان تهلكوا جميعا وقيل الا ان يحال بينكم وبينه فلا تقدرون على الاتيان
به ويقال قد احاط به العدو وقد احيط به وقد احاطت الديون بماله فاجتاحته
والمعنى في الجميع الاستيلاء والقهر والخطيئة والخطايا انما تحيط بصاحبها
اذا لم يكن له منها مخرج بل وجب العذاب لا محالة **اذا تبين هذا**
فنقول اما من فسر هنا ذلك بانه ياتي كبيرة فيموت مصرا عليها فهو كقول
من يقول ان صاحب الكبيرة مستحق للعذاب مطلقا والذين قالوا هذا من
السلف لم يقولوا انه لا يخرج بشفاعة ولا غيرها لكن من المتشبهين بالسنة
يقولون ان صاحب الكبيرة المصر عليها مستوجب العذاب مطلقا كما يقولون
انه يفسق بالكبيرة التي يصر عليها وكذلك قالت طائفة من الخوارج والمعتزلة

لكن

لكن يقولون انه لا يخرج من النار لا بشفاعة ولا غيرها والاكثرون على خلاف
هذا القول وان الله سبحانه يزن حسنات العبد وسيئاته فقد ترجح الحسنات
وان كان في السيئات كبيرة وقد لا ترجح الحسنات لكثرة السيئات وان لم يكن
فيها كبيرة وعلى هذا القول دل الكتاب والسنة وهذا معنى وزن الاعمال في قوله
والوزن يومئذ الحق الاية وكثير من الناس من اصحاب الذنوب يجوزون ان
يغفر لصاحب الكبيرة والسيئات الراجحة مع تعذيب صاحب الصغيرة مع الحسنات
الراجحة فهذه ثلاثة اقوال مشهورة واصحها الوسط وعلى هذا تفسير مجاهد — فعلى
وابن السائب وغيرهما السيئة يدخل فيها الشرك وغيره لكن احاطة الخطيئة ان
تغلب سيئاته حسناته ويموت عليها وعلى هذا فالخلود مجمل فخلود اهل الشرك
نوع وخلود اهل القبلة نوع كما فسرت النصوص النبوية هذا وهذا وعلى
تفسير الاكثرين فالسيئة الشرك فهذا اظهر الاقوال لانه سبحانه غاير بين
لفظ المكسوب والمحيط فقال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فلو كان المراد بهذا هذا لم يغاير بين اللفظين فعلم ان المراد بالسيئة الشرك
والمشرك له خطايا اخر غير الشرك فذكر ان خطاياه احاطت به فلم يتب
منها وعلى هذا فيكون الخلود في الاية خلود الكفار ولهذا قابله بخلود
المؤمنين فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون وايضا فقوله سيئة نكرة وليس المراد جنس السيئات
بالاتفاق فلو كسب شيئا من السيئات الصغائر ومات مصرا على ذلك مع
ايمانه وكثرة حسناته لم يستحق هذا الوعيد بالكتاب والسنة وايضا فلفظ
السيئة قد جاء في غير موضع واريد به الشرك وايضا فقوله [illegible] او حكاية
سيئة ونحو ذلك كما في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني حالا حسنة تعم الخير
كله وهذا اللفظ قد يكون صفة وقد ينقل من الوصفية الى الاسمية وهو معدول — الاسمية
عن السيئات وقد يستعمل لازما ومتعديا فيقال ساءه هذا الامر وهو سيء
كما يقال قبح فهو قبيح وخبث فهو خبيث وهذا يقال في مقابلة الحسنة
وهي ما كان في نفسه حسنا جميلا وقد يقال ساءني هذا الامر وما يسوء فلانا
ومنه قوله ليسوءوا وجوهكم وكقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقوله ولما

سيئت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1